

الاسلام طريق الاستقامة وحبل النجاة

بقلم الأستاذ سميح احمد عثمانة

يقول الله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ صدق الله العظيم.

انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد.

نعم معشر المسلمين.. ان الله حينما اختار لنا الاسلام ديناً، قد شرفنا بهذا الاسلام، واعزنا بهذا الدين، وجعل امتنا خير أمة أخرجت للناس، وان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم شأن يذكر، ولم تكن لهم عقيدة صادقة ينضون تحت لوائها، وكانوا اضعف الشعوب واقلها شأنًا في تسيير دفة الأمور في العالم، وكانوا بجانب الدولتين العظيمتين فارس والروم كمًّا مهملاً.

حينما تجلت رحمة الله تبارك وتعالى على هذا العالم، واراد الله له الهداية، بعث المصطفى ﷺ بخير كتاب كريم، يهدي الى أقوم سبيل.

وبذلك استنارت الدنيا بهذا المصباح السماوي المبارك، الذي كانت رسالته رحمة عامة شاملة مباركة، رحمة في الدنيا والآخرة، رحمة في العقيدة والتشريع، رحمة في الأخلاق والنظام العام في الأسرة، رحمة في المجتمعات والشعوب.

عند ذلك سعدت البشرية التائهة في بيداء الظلم والضلال، واهتدت بنور خالق الارض والسمااء ﴿كتاب

الاسلام.

وبهذا الاسلام وبهذا التجمع تحت لوائه، رددنا كيد الصليبيين في نحورهم لما قامت أوروبا المسيحية كلها، لتلتهم بلاد الاسلام والمسلمين، ولتقضي على هذا الدين في مهده، ولتستولي على بيت المقدس، وبعد كفاح مرير وجهاد مستمر تحت قيادة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي، استرددنا بيت المقدس من ايديهم، بعد ما اغتصبوه قرابة قرن من الزمان، ورددنا كيد الصليبيين في نحورهم ورجعوا بخفي حنين خاسئين حاسرين.

وبفضل هذا الاسلام والتجمع تحت لوائه سترد غارات البرابرة في العصر الحديث -وهم اليهود الصهاينة- على بلاد المسلمين، وسنسترد بيت المقدس ان شاء الله تعالى.

نعم ايها المسلمون.. لقد كان طريق النصر على البرابرة التتار هو التجمع تحت لواء الاسلام، ولقد كان طريق النصر على الغزاة الصليبيين هو التجمع تحت لواء لاسلام، وبفضل التجمع تحت راية الاسلام في الغارتين كان النصر حليف المسلمين، وكان الخذلان حليف الأعداء المجرمين، والعاقل من اتعظ بالاحداث التاريخية، واتخذ منها العبر والعظات.

ما كانوا يقارنون بدولة فارس ولا بدولة الروم، فما ان تشرفوا بالاسلام ودخلوا تحت لوائه واشربت قلوبهم حبه، عقيدة وشريعة وسلوكاً واخلاقاً حتى صاروا اعز الشعوب والأمم، وصارت لهم سمات مميزة تنادي بأن هذا مسلم وهذه مسلمة، ولم يمض ربع قرن من الزمان بعد مجاورة النبي ﷺ الرفيق الأعلى، حتى تهاوت تحت سنابك خيلهم، خيل الله تعالى، دولتنا فارس والروم.

وذهب كسرى فلم يقم كسرى بعده، وهلك قيصر فلم يقم قيصر بعده، وصدقت نبوءة رسول الله ﷺ عندما قال: «... واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والله لتتفقن كنوزهما في سبيل الله» اخرج البخاري.

بهذا الاسلام أيها الاخوة الموحدون، صرنا سادة العالم، وبيدنا مصاير الأمور ما يزيد على عشرة قرون من الزمان، وخطب ود المسلمين وسعى اليهم مدعناً ومنقاداً، وطالب عهدهم وامانهم، معظم ملوك الارض ورؤساؤها.

نعم اخوة الايمان، بهذا الاسلام صمدنا وصددنا اعظم غارة بربرية في القرون الأولى، وهي غارة التتار، بل لم يجد بعض ملوكهم بداً من الانضواء تحت راية

حرية الدين والعقيدة، وحماية الدماء وصيانة الاموال والأنساب والأعراض، هي الحضارة التي سمت عن العصبية الجنسية والنسبية واللونية واللغوية.

فهذا هو عمر بن الخطاب القرشي ثاني شيخي الاسلام وثاني الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين يقول في بلال الحبشي من مقالة قالها في الصديق (رضي الله عنه): «هو سيدنا واعتق سيدنا» يريد بلالاً.

وهذا هو سيدنا رسول الله (ﷺ) يقول لأبي ذر الغفاري لما عير بلالاً رضي الله عنهما وقال له: يا ابن السوداء، قال له (ﷺ): «انك امرؤ فيك جاهلية»، فقال ابو ذر: على ساعتى هذه يا رسول الله؟ قال: نعم» وهذا هو بلال الحبشي يقوم الى خالد بن الوليد وهو في اوج انتصاراته العسكرية فيحل عمامته ويغله بها، وذلك تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم اجمعين.. انها أمثلة لا نكاد نجد لها مثيلاً في تاريخ البشرية كلها.

فيا معشر المسلمين.. الاسلام يريد منكم ان تتيقنوا ان ديننا هو خير الملل، وشريعتنا هي خير الشرائع وان اخلاق الاسلام هي سيدة الاخلاق، واننا معاشر

وقد نجحت تجربة التجمع تحت راية الاسلام مرتين، افلا نكررها في العصر الحديث حتى نرد طغيان اليهود الصهاينة، ونسترجع منهم ارضنا الغالية وبعض مقدساتنا الاسلامية، التي تتمثل في بيت المقدس وما حواليه من الأرض الطيبة المباركة.

ان الله تبارك وتعالى يقول: ﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾.

ان هذه الآية الكريمة، لتستهض همم المسلمين في ان يتحدوا ويتآلفوا ويتحابوا في الله، وحينئذ يتمكنون من ارجاع اراضيهم المغتصبة، واسترجاع كرامتهم التي مرغها في التراب هؤلاء اليهود الصهاينة، الذين لا يعبؤون لأحد ولا يهتمون لقائل.

نعم يا عباد الله.. اريد من المسلمين ان يعرفوا مكانتهم في التاريخ الانساني، ومكانتهم كأهل دين يعتبر خاتم الشرائع وأكملها، واوفاهها بحاجات البشرية، إذ جاء الاسلام وجعل الحضارة الانسانية حقيقة واقعية بعد ان كانت خيالاً.

ان حضارة الاسلام هي الحضارة الحققة، لأنها الحضارة التي تقوم على

المسلمين خير امة أخرجت للناس.

الاسلام يريد من المسلمين ان ينشئوا اولادهم من الصغر على هذه الحقائق، ينشئوهم من الصغر على اخلاق الاسلام الاصيله، وان المسلمين هم الذين ينبغي ان تكون لهم السيادة في الارض، وهم الجديرون بخلافة الله في الارض.

ان سيادتنا في الارض، ليست سياسة تجبر وطغيان، وانما هي سيادة تراعي الحقوق وترعى العهود، وتنشر الهدى والخير بين الناس.

سيادة مبناها على رعاية العدل ورعاية الرحمة ورعاية الكرامة الانسانية، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

ان اليوم الذي يعرف فيه المسلمون حقيقتهم الاسلامية وشخصيتهم العريقة، ومكانتهم في التاريخ ومكانتهم في بناء الحضارة الانسانية شباباً وشيباً، ورجالاً ونساءً لهو اليوم الذي سيحل فيه المسلمون مشكلاتهم، والذي سيسترجعون فيه عزهم ومجدهم وكرامتهم.

ولهو اليوم الذي نأمن فيه على شبابنا وشاباتنا، من الانحراف وقبول المذاهب

الفاسدة والأفكار الوافدة المستوردة.

ان هذا البلاء الذي سرى الى بعض شبابنا وفتياتنا في كثير من البلاد الاسلامية، سببه ان هؤلاء الشباب والشواب، ليس لهم من قوة الشخصية الاسلامية، ولا من قوة العقيدة ولا من قوة النفس والايمان ولا من معرفتهم بذواتهم، ليس لهم من كل ذلك ما يعصمهم من متابعة كل ناعق، والاستجابة الى كل مضلل، وانه لمن المؤسف حقاً ما من بدعة تظهر في الشرق او الغرب، الا ونجد لها استجابة بل وارتقاءً في أحضان هذه المذاهب الباطلة، والبدع المستهجنة من بعض شبابنا وشاباتنا!.

نعم ايها المسلمون.. نريد ان تكون حياتنا اسلامية بحتة، اسلامية في عقيدتنا وفي اخلاقنا، اسلامية في سياساتنا ومعاملاتنا، اسلامية في أمورنا المدنية والجنائية والاقتصادية، لأن الاسلام فيه كل ما نحتاج اليه في ديننا ودنيانا، فهو عماد التربية وحسن الفضيلة، وهو يؤدي وظيفته في جميع الظروف والاحوال، يرقى بالفرد والمجتمع الى اعلى درجات الكمال، ويحمي حمى الدولة من كل خطر يعرضها للزوال.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.